خطبة الجمعة، 23.09.2016

مَسْؤُولِيَّاتُنَا قِبَلَ الْوَالِدَيْنِ

{ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا. إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا. وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا }

(عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ، قَالَ الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا، قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ، قَالَ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ، قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ، قَالَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ )

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُون !

هَلْ رَأَيْتُمْ بَشَرًا, يَكْبُرُ رَأْسًا دُونَ أَنْ يَمُرَّ بِمَرْحَلَةِ الطُّفُولَةِ ؟ أَوْ بَشَرًا لَا يُحِبُّ وَالِدَيْهِ ؟ وَ لَكِنَّ الْإِنْسَانَ مَعَ الْأَسَفِ، رَغْمَ نُشُوئِهِ مُنْذُ طُفُولَتِهِ عِنْدَ وَالِدَيْهِ، قَدْ يُضَايِقُ فِيمَا بَعْدُ وَالِدَيْهِ وَ يُهْمِلُهُمَا. وَ عَكْسُ ذَلِكَ تَمَامًا أَيْضًا وَاقِعٌ. فَهُنَاكَ آبَاءٌ وَ أُمَّهَاتٌ يَكْرَهُونَ أَوْلَادَهُمْ وَ لَا يُحِبُّونَهُمْ. وَلَكِنْ مَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ الْأَوْلَادَ الَّذِينَ يَكْرَهُونَ وَالِدَيْهِمْ أَكْثَر، رَغْمَ أَنَّ النَّاسَ مُكَلَّفُونَ بِاحْتِرَامِ وَالِدَيْهِمْ، وَ بِأَمْرٍ قَاطِعٍ. وَ قَدْ وَرَدَ هَذَا الْأَمْرُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِهَذَا الشَّكْلِ : { وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا. إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا. وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا }

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَام !

لِنَتَدَبَّرْ هَذِهِ الْآيَةَ ! حَتَّى نَفْهَمَ أَهَمِّيَّةَ بِرِّ الْوَالِدَيْنِ وَ احْتِرَامِهِمَا. ثُمَّ انْظُرُوا ! إِذَا أَعْقَبَ اللهُ الْأَمْرَ بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ بِالْأَمْرِ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَعْنِي أَنَّ هُنَاكَ مَسْؤُولِيَّةً كَبِيرَةً فِي هَذَا الشَّأْن. هَذِهِ الْمَسْؤُولِيَّةُ لَيْسَتْ مَسْؤُولِيَّةَ الْأَوْلَادِ فَقَطْ، بَلْ هِيَ أَيْضًا مَسْؤُولِيَّةُ الْوَالِدَيْنِ قِبَلَ الْأَوْلَاد. وَلَكِنَّ الْمَسْؤُولِيَّةَ تَنْتَقِلُ إِلَى الْأَوْلَادِ مَتَى كَبُرُوا. وَ إِنَّ أُولَى مُقْتَضَيَاتِ هَذِهِ الْمَسْؤُولِيَّةِ، هِيَ عَدَمُ الْغَضَبِ عَلَيْهِمَا، وَ عَدَمُ لَوْمِهِمَا، وَ

الْاِهْتِمَامِ بِهِمَا كَمَا يَنْبَغِي. وَ ثَانِيهَا، اَلْإِقْبَالُ عَلَيْهِمَا بِلِيْنِ الْكَلَامِ وَ اللُّطْفِ. وَ أَخِيرًا، خَفْضُ الْجَنَاحِ لَهُمَا عِنْدَ كِبَرِهِمَا بِشَفْقَةٍ وَ مَحَبَّةٍ كَمَا رَبَّوْنَا صَغِيرًا.

إِخْوَتِيَ الْكِرَام !

اَلْعَبْدُ الْمَرْضِيُّ، هُوَ الَّذِي يَعْبُدُ رَبَّهُ بِحَقِّهِ، وَ إِلَى جَانِبِ ذَلِكَ يُعَامِلُ وَالِدَيْهِ بِإِحْسَان. فَلَا بُدَّ مِنْ نَيْلِ رِضَى الْوَالِدَيْنِ حَتَّى نَنَالَ رِضَى اللهِ. وَ الْعُبُودِيَّةُ الْحَقِيقِيَّةُ تَسْتَلْزِمُ بِرَّ الْوَالِدَيْنِ

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَام !

وَ مَاذَا يَعْنِي الْإِحْسَانُ ؟ هَلْ هُوَ إِعْطَاءُ النُّقُودِ فَقَطْ ؟ لَا، لَيْسَ هَكَذَا نَفْهَمُ الْإِحْسَان. فَإِنَّهُ قَدْ يَكُونُ أَحْيَانًا بِالنُّقُودِ، وَ لَكِنْ لَيْسَ لَنَا أَنْ نَقْصُرَ الْإِحْسَانَ عَلَى النُّقُودِ. فَالْاِبْتِسَامُ فِي وَجْهِهِمْ، وَ السُّؤَالُ عَنْ حَالِهِمْ وَ احْتِيَاجَاتِهِمْ، وَ قَضَاءُ هَذِهِ الْحَاجَاتِ، وَ أَعْمَالٌ أُخْرَى مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ، كُلُّهَا دَاخِلَةٌ فِي مَعْنَى الْإِحْسَان. فَكُلُّ شَيْءٍ يُرْضِي الْوَالِدَيْنِ وَ يُدْخِلُ قَلْبَهُمَا السُّرُورَ إِحْسَانٌ.

وَ إِذَا كُنَّا نَتَحَدَّثُ هُنَا عَنِ الْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ، فَإِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْأَعْمَالُ كَمَا يُرِيدُهَا مِنَّا الْإِسْلَامُ. وَ عِنْدَئِذٍ سَيَشْهَدُ وَالِدَانَا أَيْضًا بِكَوْنِنَا عِبَادًا صَالِحِين.

إِخْوَتِيَ الْكِرَام !

اِحْذَرُوا مِنْ أَنْ تَتَوَسَّلُوا إِلَى أَفْعَالٍ وَكَلِمَاتٍ تَجْرَحُ شُعُورَهُمْ بَيْنَ النَّاسِ. وَ لِنَتَجَنَّبْ دَائِمًا وَ أَيْنَمَا كَان، اَلْأَحْوَالَ وَ التَّصَرُّفَاتِ الَّتِي تَمَسُّ شَرَفَ الْوَالِدَيْنِ وَكَرَامَتَهُمَا وَ اعْتِبَارَهُمَا. وَ لْنَدْعُ لَهُمْ وَ لْنَقُلْ : { رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا }

IGMG